الوطني، أولاً

تضمّن الجزء الثاني من الكتاب ثلاثة فصول، خصص اثنان منها لحركة الجهاد الاسلامي. ووفقاً لما جاء في الفصل الرابع (الأول من الجزء الثاني)، فقد تأسست حركة الجهاد الاسلامي، العام ١٩٨٠، على يدي الشيخين، فتحي الشقاقي وعبدالعزيز عودة، في غزة، اللذين استندا، في تأسيس الحركة الجديدة، الى نشاط أعضاء سابقين من الاخوان المسلمين سعوا الى التميّز بالممارسة عن الخط العام للاخوان المسلمين؛ من هؤلاء الشيخ يعقوب القرش الذي كان على علاقة ما بـ «فتح»، وكان «من اوائل الذين تحدثوا عن ضرورة مواجهة الاحتلال... ودعا الى الجهاد ضده» (ص ١١٢).

جاء اعضاء وقادة الجهاد الاسلامي عموماً من بين صفوف حركة الاخوان المسلمين، وجاء بعضهم من تنظيمات سياسية وفدائية سابقة، منها قوات التحرير الشعبية، التي قادها الشيخ جبر عمّار أحد قادة الجهاد الاسلامي. وكان من أوائل المؤسسين لحركات اسلامية داخل السجون الاسرائيلية منذ السبعينات.

تركّز الوجود الرئيس للجهاد الاسلامي في قطاع غزة، ولم تحظ، في الضفة الفلسطينية بأكثر من وجود ضئيل، لكنه يتزايد. على الصعيد الفكري، استمدت «الجهاد الاسلامي» فكرها الايديولوجي، والسياسي، من التراث الاسلامي بوجه عام. واحتل الشيوخ حسن البنّا وسيد قطب وعزالدين القسام مكانة جديرة بالاقتداء لدى الجهاد الاسلامي. واشار المؤلف الى أوجه شبه كثيرة بين ما قام به القسّام وأنصاره في مقاومة الانتداب البريطاني في فلسطين وما قامت به «الجهاد الاسلامي» في مواجهة الاحتلال الاسرائيلي، حيث مزج القسّام الدعوة الى الجهاد في سبيل الله بالدعوة الى الجهاد في سبيل الوطن، رافعاً شعار «كتاب الله في يد، والبندقية في يد أخرى» (ص ١٢١). أي انه جمع بين الديني والوطني، وهذا ما فعلته «الجهاد الاسلامي، التي اعتقد أنصارها بدور أساسي للعمليات المسلحة التي قاموا بها قبيل انطلاقة الانتفاضة العام ١٩٨٧ في تفجير تلك الانتفاضة. وهم اعتبروا العمليات الانتحارية (الاستشهادية) اسلوباً رئيساً من اساليب عملهم (ص ١٢٤).

أهم ما ميّز حركة الجهاد الاسلامي أورده المؤلف في سياق تعرضه الى موقف «الجهاد الاسلامي» من القضية الفلسطينية (الفصل الخامس). ويمكن حصره في النقاط التالية: تعتبر حركة الجهاد الاسلامي فلسطين قضيتها المركزية، بعكس حركة الاخوان المسلمين التي ترى في انتصار الدعوة الاسلامية القضية المركزية والمقدمة الصحيحة للاقتراب من قضية فلسطين، وحلّها حلاً اسلامياً (ص ١٣١)؛ تؤمن «الجهاد الاسلامي» بالكفاح المسلح كاستراتيجية للعمل السياسي، ولا تتمسك بمبدأ تطبيق الشريعة الاسلامية على المجتمع قبل قيام الدولة الاسلامية في فلسطين. ويتعاكس هذا الموقف، تماماً، مع وجهة نظر الاخوان المسلمين الذين يعتقدون بوجوب قيام دولة اسلامية قبل تحرير فلسطين (ص ١٣٣).

اتسمت علاقة «الجهاد الاسلامي» بـ م.ت.ف. بالغموض والازدواجية. وثمة حديث عن علاقة بين «فتح» و«الجهاد الاسلامي». وتنظر «الجهاد» الى «فتح» نظرة ايجابية، بسبب الخلفية الاسلامية المميزة لمؤسسي «فتح» الاوائل. وتبعاً لهذا، نشأ بين الحركتين شكل ما من التعاون، لكن هذا التقارب والتعاون لم يؤديا الى اقامة تحالف جدّي، خصوصاً مع القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة. غير ان «الجهاد الاسلامي» حرصت، من جهة اخرى، «على عدم الاشتباك مع أية قوة فلسطينية أخرى [سواء] اسلامية كانت ام علمانية» (ص ١٤١)؛ لكنها لم تخف معارضتها لبرنامج م.ت.ف. وهي تعتبر سياسة م.ت.ف. الحالية بمثابة «انتحار سياسي» (ص ١٤٤).

انفرد الفصل الخامس، والأخير، بتسليط الضوء على الخلافات الاساسية بين حركتي الاخوان المسلمين والجهاد الاسلامي، وتتلخّص في ثلاث قضايا رئيسة، هي: اعتبار حركة الجهاد نفسها نقيضاً للاتجاه الاصلاحي الذي تمثّله حركة الاخوان المسلمين، على اعتبار ان الجهاد تمثّل تيار «المفاصلة والثورة»، بينما تمثّل حركة الاخوان تيار «المهادنة والترقيع والاصلاح»؛ والخلاف حول الفهم الصحيح للاسلام كعقيدة، وكيفية التعامل معها والاسترشاد بها في التعاطي مع القضايا الاسلامية؛ والخلاف حول الموقف من المسألة الفلسطينية والانظمة العربية والثورة الاسلامية في ايران، والموقف من ممارسة الكفاح المسلّح. وتفرّع عن هذه